حديث السحر فى القرآن

كلمة « السحر » لفظة تكاد تسحرنا بكثرة معانيها ، وتلون مغازيها ، فقد تطلق على دقة الفعل . وقد تطلق على قوة التأثير ، فقد قالوا : إن الطبيعة ساحرة ، وتحدثوا عن سحر العيون وسحر الجمال ، وسموا الغذاء سحراً لأنه يلطف تأثيره ، وقال سيد البلغاء رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن من البيان لسحراً » أى منه ما يصرف قلوب السامعين إليه ، وإن كان غير حق ، وقيل : معناه إن من البيان ما يكتسب به صاحبُه من الإثم ما يكتسبه الساحر بسحره ، فيكون بمعرض الذم ، وقيل : يجوز أن يكون فى معرض المدح ، لأنه يستمال به القلوب ، ويُترضى به الساخط ، ويُستنزل به الصعب .

ويقال : سحره ، أى صرفه عن وجهه وخدعه ، ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الأعراف : « وقالُوا مَهْما تأتِنَا بِهِ مِنْ آيةٍ لِتَسْحَرَنَا بها فما نَحْنُ لَكَ بمؤمِنينَ » (الآية ١٣٢) . وقوله فى سورة المؤمنون : « قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شىء وهُوَ يُجِيرُ ولا يُجارُ عَلَيْه إنْ كنْتُم تعْلَمُون ؟ سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فأنّى تُسْحَرُونَ » ؟ (الآيتان ٨٨ ، ٨٩). أى فكيف تصرفون عن الحق وتُخدعون ؟

وأصل السحر هو صرف الشيء عن وجهه ، أى صرفه عن حقيقته إلى غيرها ، وكأن الساحر لما أرى الناس الباطل فى صورة الحق ، وخيل الشيء على غير حقيقته ، فقد سحر الشيء عن وجهه ، أى صرفه .

والسحر – عند العلماء – عمل يتقرب فيه صاحبه إلى الشيطان ، ويستعين بالشيطان فيه ، لإخراج الباطل فى صورة الحق ، بدقة صنع ولطف مأخذ ؛ وقد ورد ذكر « السحر » فى القرآن الكريم كثيراً بمعنى الخداع والتخييل ، ومن ذلك قول الله تعالى فى سورة الأنعام : « ولَوْ نزَّلْنَا عَلَيْكَ كتاباً فى قِرْطاسٍ فَلَمسُوهُ بأيْدِيهِمْ لقَالَ الَّذِينَ كفَرُوا إنْ هذَا إلاَّ سِحْرٌ مبينٌ » (الآية ٧) . أى تخييل لا حقيقة ، وخداع للبصر والحواس .

ويقول القرآن فى سورة يونس : « فلمَّا جاءَهُمُ الحقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا إنَّ هذا لسِحْرٌ مُبين » (الآية ٧٦) . وفى سورة هود : « ولئِنْ قُلْتَ إنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ منْ بَعْدِ الموْتِ ليقولَنَّ الَّذِينَ كفَرُوا إنْ هذا إلاَّ سِحْرٌ مُبينٌ » (الآية ٧) .

ولأن السحر يقوم على التمويه والتضليل قال القرآن فى سورة طه : « ولا يفلح الساحر حيث أتى » ويعلق أحد المفسرين بقوله : إن الساحر لا يفلح أنى ذهب ، وفى أى طريق سار ، لأنه يتبع تخييلا ويصنع تخييلا ، ولا يعتمد على حقيقة ثابتة باقية ، شأنه شأن كل مبطل أمام القائم على الحق المعتمد على الصدق .

ويعرِّف مفسرو القرآن السحر بأنه قول أو فعل يترتب عليه أمر خارق للعادة ، ويعتمد على وسائل من الرُّقَى والعزائم ، وما أشبهها . ولقد تحدث الرازى المفسر المشهور عن أنواع السحر ، فذكر منه سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية ، وسحراً يستعين أصحابه بالأرواح الأرضية . ويقصد بها الجن ، وسحر التخيلات والأخذ بالعيون ، لأن المشعبذ الحاذق يظهر عمل

شيء يشغل أذهان الناظرين به ، ويأخذ عيونهم إليه ، حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه ، عمل شيئاً آخر بسرعة شديدة ، فيبقى ذلك العمل خفيًّا ، لتفاوت الشيئين : اشتغالهم بالأمر الأول ، وسرعة الإتيان بهذا العمل الثانى ، « حينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه ، فيتعجبون منه جدًّا ، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمله ، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه،لفطن الناظرون لكل ما يفعله ، فهذا هو المراد من قولهم إن المشعبذ يأخذ بالعيون ، لأنه بالحقيقة يأخذ بالعيون إلى غير الجهة التى يحتال فيها ، وكلما كان أخذه للعيون والخواطر ، وجذبه لها إلى سوى مقصوده أقوى ، كان أحذق فى عمله .

وكلما كانت الأحوال التى تفيد حس البصر نوعاً من أنواع الخلل أشد ، كان هذا العمل أحسن ، مثل أن يجلس المشعبذ فى موضع مضيء جدًّا ، فإن الضوء الشديد يفيد البصر كلالاً واختلالا ، وكذا الظلمة الشديدة ، وكذلك الألوان المشرقة القوية تفيد البصر كلالا واختلالا ، والألوان المظلمة قلما تقف القوة الباصرة على أحوالها » .

ويضيف الإمام الرازى ما يسميه سحر الأعمال العجيبة التى تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية الخاصة ، وهناك سحر الاستعانة بخواص الأدوية ، كاستعمال بعض الأدوية المريلة للعقل ، أو التى تسبب تبلد الذهن ، وهناك سحر « تعليق القلب » بأن يوهم الساحر مسحوره بأنه يعرف « الاسم الأعظم » فيعتقد المسحور الضعيف العقل بذلك ، ويتعلق قلبه به ، فيتحكم فيه الساحر ، ويوجهه إلى ما يشاء ، وهناك سحر السعى بالنميمة والوقيعة بوجوه لطيفة خفيفة .

وإذا كان الإمام الأصفهانى يجعل أنواع السحر ثلاثة فى كتابه « مفردات

القرآن » ، وهى أولا الخداع والتخييلات ، وثانياً استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه ، وثالثاً ما كان بقوة تغير الصور والطبائع ، ولا حقيقة لذلك عند المحققين...إذا كانت أنواع السحر عند الأصفهانى ثلاثة ، فإن المفسر الجليل ابن كثير يجعلها ثمانية ، هى :

١ - سحر الكذابين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة السيارة ، ويعتقدون أنها مدبرة العالم ، وأنها تأتى بالخير والشر .

٢ سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية ، لأن الوهم هو الذى يؤثر فى الإنسان ، فيجعله يعتقد أنه يمكنه أن يمشى على الجسر الموضوع على وجه الأرض ، ولا يمكنه المشى عليه إذا كان ممدوداً على نهر أو نحوه ، والنفوس خلقت مطيعة للأوهام .

٣ – سحر الاستعانة بالأرواح الأرضية ، وهم الجن ، ومنهم كفار ومؤمنون ، واتصال النفوس الناطقة بهم أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية : لما بينهما من المناسبة والقرب ، وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير .

٤ سحر الشعبذة والأخذ بالعيون ، وإذهال أذهان الناظرين ، مع الاعتماد على السرعة الشديدة ، ومن هذا النوع ما ذكره القرآن الكريم فى قوله : « فلمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَاسِ واسْتَرْهَبُوهُمْ وجاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيم » (الآية ١١٦ من سورة الأعراف) وقوله : « يُخَيَّلُ إليْه مِن سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعَى » . (طه الآية ١٦)

٥ - سحر الأعمال العجيبة القائمة على استخدام خواص المواد ، واستغلال تركيب الآلات الخاصة بنسب هندسية خاصة ، ومن هذا القبيل ما ذكره المفسرون فى قصة سحرة فرعون ، حيث عمدوا إلى حبالهم وعصيهم فحشوها زئبقاً . وجعلوا من أسفلها حرارة خاصة ، فصارت تتلوى بسبب ما فيها

من ذلك الزئبق ، فيخيل إلى الرائى أنها تتحرك وتسعى باختيارها .

٦ - سحر الاستعانة بخواص الأدوية فى الأطعمة والدهون الخاصة .

٧ - سحر تعليق القلب ، حيث يدعى الساحر المخادع أن الجن يطيعونه وينقادون له فى أكثر الأمور ، عن طريق معرفة « الاسم الأعظم » فإذا اتفق أن السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز ، تعلق قلبه بذلك وحصل فى نوعه نوع من الرعب والمخافة . فإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة ، فيتمكن الساحر حينئذ أن يفعل ما يشاء

٨ - سحر السعاية والنميمة ، عن طريق التحريش بين الناس ، ويتوقف هذا النوع على مدى ذكاء القائم به .

ونخلص من هذه التقسيمات والتفريعات إلى أن أصل السحر هو التمويه بالحيل والتخاييل ، بأن يفعل الساحر أشياء يخيل للمسحور أنها بخلاف ما هى به ، كالذى يرى السراب من بعيد ، فيخيل إليه أنه ماء ، وكراكب القاطرة السريعة يخيل إليه أن ما يقابله من الأشجار والجبال يسير بسرعة .

فى السحر إذن معنى الخداع والخفاء ، والاستمالة والتمويه بالكذب ، وهو إما حيلة وشعوذة ، وإما صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس ، وإما تأثير نفس إنسانية فى نفس أخرى ، يقول « تفسير المنار » : « وقد اعتاد الذين اتخذوا التأثيرات النفسية صناعة ووسيلة للمعاش أن يستعينوا بكلام مُبهم وأسماء غريبة اشتهر عند الناس أنها من أسماء الشياطين وملوك الجان ، وأنهم يحضرون إذا دعوا بها ، ويكونون مسخرين للداعى . ولمثل هذا الكلام تأثير فى إثارة الوهم عُرف بالتجربة ، وسببه اعتقاد الواهم أن الشياطين يستجيبون لقائله ويطيعون أمره ؛ ومنهم من يعتقد أن فيه خاصية التأثير ، وليس فيه خاصية ، وإنما تلك العقيدة الفاسدة تفعل فى النفس الواهمة

ما يغنى منتحل السحر عن توجيه همته وتأثير إرادته ، وهذا هو السبب فى اعتقاد الدهماء أن السحر عمل يستعان عليه بالشياطين وأرواح الكواكب » .

* * *

ويرى فريق من السلف أن السحر لا أصل له ، ويرى البعض أنه وسوسة وأمراض ، ويرى بعض آخر أنه حق وله حقيقة ، يخلق الله عنده ما يشاء ، ومنه ما يكون بخفة اليدين ، ومنه ما يكون كلاماً محفوظاً ، ورقى من أسماء الله تعالى ، وقد يكون من عهود الشياطين ، ومنه ما يكون أدوية وأدخنة وغير ذلك .

ومذهب أهل السنة أن السحر ثابت وله حقيقة ، ومذهب المعتزلة بخلاف ذلك ، وهو أن السحر لا حقيقة له ، بل هو إيهام لكون الشيء على غير ما هو به ، واستدلوا بقول القرآن : « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » ، حيث لم يقل : تسعى حقيقة ، بل قال : « يخيل إليه » وبقوله : « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » .

ويميل « تفسير المنار » — وهو تفسير عصرى عقلى يمثل مدرسة الأستاذ الإمام محمد عبده — إلى تكذيب السحر ، وأنه شيء منتحل ، يستخدمه أصحابه ليفتنوا العامة ، ويضلوهم عن طلب الأشياء بأسبابها الظاهرة ومناهجها المشروعة ، وهؤلاء الدجالون ما زالوا يتلون أقساماً وعزائم ، ويخطون خطوطاً وطلّسمات ، ويسمون ذلك خاتم سليمان ، ويزعمون أنها تحفظ حاملها من اعتداء الجن ومس العفاريت .

وترى هذه المدرسة العقلية فى تفسير القرآن الحكيم أن السحر أعمال غريبة من التلبيس والحيل ، تخفى حقيقتها على الجماهير لجهلهم بأسبابها ، فمتى عرف سبب شيء منها بطل إطلاق اسم السحر عليه .

ويستوى فى هذا أنواع السحر الثلاثة : ما يعمل بالأسباب الطبيعية من خواص المادة المعروفة للعالم بها ، المجهولة عند المسحورين ، كاستعمال الزئبق فى تحريك الحبال والعصى الذى روى أن سحرة فرعون قد استخدموه فى سحرهم .

أو ما يقوم على الشعوذة القائمة على البراعة وخفة اليدين فى إخفاء بعض الأشياء وإظهار بعض آخر .

أو ما يقوم على تأثير النفوس ذوات الإرادة القوية فى النفوس الضعيفة صاحب الأمزجة العصبية القابلة للأوهام والانفعالات .

وفى كتاب « فى ظلال القرآن » أن القوى المجهولة فى الكون كثيرة ، وقد نحس بها أو نشاهد بعض آثارها ، ولكننا لا نستطيع تجلية حقائقها أو طرائقها أو كنهها . فالتنويم المغناطيسى مثلا ، والتخاطب على أبعاد ومسافات طويلة (التبانى) ، وأحلام التنبؤ التى تقع فيما بعد كما رئيت ، من هذا الوادى . والسحر من قبيل هذه الأمور ، وتعليم الشياطين للناس من قبيل هذه الأمور ، وقد تكون صورة من صور القدرة على الإيحاء والتأثير ، إما فى الحواس والأفكار ، وإما فى الأشياء والأجسام ، ولا مانع أن يكون مثل هذا التأثير وسيلة للتفريق بين المرء وزوجه ، وبين الصديق وصديقه ، فالانفعالات تنشأ من التأثرات ، وإن كانت الوسائل والآثار ، والأسباب والمسببات ، لا تقع كنهها إلا بإذن الله .

وعلى الرغم من اختلاف الأئمة فى حقيقة السحر نراهم يجمعون على أن السحر لا يؤثر بذاته فى نتائج أو عواقب ، وإنما يخلق الله تعالى الأشياء المتعلقة بالسحر عند وجوده ، كما يخلق الشبع عند الأكل ، والرى عند شرب الماء .

وكما تكلم السلف عن حقيقة السحر تكلموا عن حكمه :

يقول الإمام القرطبي في تفسيره : « من السحر ما يكون كفراً من فاعله ، مثل ما يدعون من تغيير صور الناس ، وإخراجهم في هيئة بهيمة ، وقطع مسافة شهر في ليلة ، والطيران في الهواء ، فكل من فعل هذا ليوهم الناس أنه محق فذلك كفر منه » .

وجمهور العلماء يرى قتل الساحر ، لأنه كالمدعي للنبوة ، وكافر بالأنبياء .

ويرى الإمام مالك والأئمة ابن حنبل والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم ، أن المسلم إذا سحر بنفسه ، بكلام يكون كفراً،يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته ، لأن الله تعالى سمى السحر كفراً ، كما يقول عن الملكين المعلمين للسحر : « وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر » .

واستدلوا على ذلك بحديث – ضعَّفوه – يقول : « حد الساحر ضربة بالسيف » .

ويقول ابن المنذر : « وإذا أقر الرجل أنه سحر بكلام يكون كفراً وجب قتله إن لم يتب ، وكذلك لو ثبتت به عليه بينة ، ووصفت البينة كلاماً يكون كفراً .

وإن كان الكلام الذي ذكر أنه سحر به ليس بكفر لم يجز قتله . فإن كان أحدث في المسحور جناية توجب القصاص اقتص منه إن كان تعمد ذلك ، وإن كان مما لا قصاص فيه ففيه دية ذلك » .

ويروى أنه كان عند الوليد بن عقبة ساحر يلعب بين يديه ، فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه ، فقال الناس : سبحان الله ، يحيي الموتى .

ورآه رجل من صالحى المهاجرين ، فلما كان الغد جاء الساحر مشتملا على سيفه ، وأخذ يلعب لعبه ذلك ، فرفع المهاجر سيفه ، وضرب به عنق الساحر ، وقال عنه : « إن كان صادقاً فليحى نفسه » . وتلا قول الله تعالى : « أفتأْتُون السِّحْر وأنْتُم تُبْصِرُونَ » ؟! (الأنبياء الآية ٣)

° ° °

وحين يدور حديث السحر فى القرآن ، يرد سؤال له أهميتـه فى هذا المجال :

أصحيح ما يزعمه بعض المفسرين أن لبيد بن الأعصم اليهودى سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الله جل جلاله شفاه من هذا السحر ؟

إنهم يوردون هذه القصة عند قول القرآن الكريم فى سورة الفلق : « ومِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فى العُقَدِ » (الآية ٣).وبعض المحققين يطعنون فى ذلك الخبر ، ويرون أن تمكن ذلك الشخص من سحر الرسول لا يليق بمكانة الرسول،وهو المعصوم المؤيد من ربه سبحانه ، وعلى رأس هؤلاء المنكرين لقصة سحر الرسول الأستاذ الإمام محمد عبده ، وله فى ذلك الموضوع بحث يفيض بالحرارة والغيرة على مكانة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومما جاء فيه :

« قد رووا هاهنا أحاديث فى أن النبى صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الأعصم ، وأثر سحره فيه ، حتى كان يخيل له أنه يفعل الشىء وهو لا يفعله ، أو يأتى شيئاً وهو لا يأتيه ، وأن الله أنبأه بذلك ، وأُخرجت مواد السحر من بئر ، وعوفى صلى الله عليه وسلم مما كان نزل به من ذلك ، ونزلت هذه السورة (سورة الفلق) .

ولا يخفى أن تأثير السحر فى نفسه عليه السلام ، حتى يصل به الأمر

obeikandi.com

إلى أن يظن أنه يفعل شيئاً وهو لا يفعله ، ليس من قبيل تأثير الأمراض فى الأبدان ، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان فى بعض الأمور العادية ، بل هو ماس بالعقل ، آخذ بالروح ، وهو مما يصدق قول المشركين فيه : « إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً » (الإسراء ٤٧)

وليس المسحور عندهم إلا من خولط فى عقله ، وخيل له أن شيئاً يقع وهو لا يقع ، فيخيل إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه .

وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هى النبوة ، ولا ما يجب لها : إن الخبر بتأثير السحر فى النفس الشريفة قد صح ، فيلزم الاعتقاد به ، وعدم التصديق به من بدع المبتدعين ، لأنه ضرب من إنكار السحر ، وقد جاء القرآن بصحة السحر .

فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح فى نظر المقلد بدعة ! . نعوذ بالله ، يحتج بالقرآن على ثبوت السحر ، ويعرض عن القرآن فى نفيه السحر عنه صلى الله عليه وسلم ، وعده من افتراء المشركين عليه ، ويؤوِّل فى هذه ولا يؤوِّل فى تلك ، مع أن الذى قصده المشركون ظاهر ، لأنهم كانوا يقولون : إن الشيطان يلابسه عليه السلام . وملابسة الشيطان تُعرف بالسحر عندهم ، وضرب من ضروبه ، وهو بعينه أثر السحر الذى نُسب إلى لبيد ، فإنه قد خالط عقله وإدراكه فى زعمهم .

والذى يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به ، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم . فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبته ، وعدم الاعتقاد بما ينفيه . وقد جاء بنفى السحر عنه عليه السلام ، حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ، ووبخهم على زعمهم هذا ، فإذن هو ليس بمسحور قطعاً .

وأما الحديث – على فرض صحته – فهو آحاد ، والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد ، وعصمة النبي من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه إلا باليقين ، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون .

على أن الحديث الذى يصل إلينا من طريق الآحاد إنما يحصِّل الظن عند من صح عنده ، أما من قامت له الأدلة على أنه غير صحيح ، فلا تقوم به عليه حجة ، وعلى أى حال فلنا – بل علينا – أن نفوض الأمر فى الحديث ، ولا نحكمه فى عقيدتنا ، ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل ، فإنه إذا خولط النبي فى عقله – كما زعموا – جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئاً وهو لم يبلغه ، أو أن شيئاً نزل عليه وهو لم ينزل عليه . . والأمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان

ثم إن نفى السحر عنه لا يستلزم نفى السحر مطلقاً ، فربما جاز أن يصيب السحر غيره بالجنون نفسه ، ولكن من المحال أن يصيبه ، لأن الله عصمه منه » .

وإذ كان السحر حقيقة عند من يقول من الأئمة بوجوده ، فما الحكم فى علاج المسحور من السحر ؟

أجاز بعض العلماء أن يقوم الإنسان بعلاج المسحور ، عن طريق ما يسمونه « النُّشْرة » ، وهى ضرب من الرقية يعالج به من كان يظن أن به مسًّا من الجن . ويقرر الإمام ابن كثير فى تفسيره للقرآن العظيم أن أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر هو ما أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله فى إذهاب ذلك ، وهما المعوذتان : أى سورة الفلق « قُل أعوذُ بربِّ الفَلَق . من شَرِّ مَا خلق . ومن شر غَاسق إذا وَقَبَ . ومن شَرِّ النفاثات فى العُقَدِ . ومن شَرِّ حاسدٍ إذا حَسَد » .

وسورة الناس : « قُلْ أَعوذُ بربِّ الناسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إلهِ النَّاس ، من شَرِّ الوسْواسِ الخنَّاس . الذى يُوَسْوِسُ فى صُدُور النَّاس . مِنَ الجِنَّة والنَّاس » .

ويذكر الحديث النبوى الشريف : « لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما » .

وكذلك قراءة آية الكرسى ، فإنها طاردة للشيطان .

هذا وقد فرق مفسرو القرآن الكريم بين السحر والمعجزة ، بما يلى :

١ - السحر يمكن أن يقع من الساحر ومن غيره ، والمعجزة مقصورة على الرسل عليهم الصلاة والسلام .

٢ - المعجزة لا يمكّن الله أحداً أن يأتى بمثلها أو يعارضها ، بخلاف السحر .

٣ السحر لا يكون معه ادعاء للنبوة ، والمعجزة تكون مقترنة بدعاء الرسول أنه رسول من عند الله .

٤ المعجزة حق يجريه الله على يدى رسول ، والسحر تمويه وخداع غالبـاً .

* * *

ولقد ذكر القرآن الكريم موقفين من مواقف السحر ، أولهما يتعلق بالسحر فى عهد سليمان ، ويتعلق بقصة هاروت وماروت ، والموقف لآخر يتعلق بسحرة فرعون فى قصة موسى عليه السلام .

الموقف الأول جاء فى شأنه قول الله تعالى فى سورة البقرة : « واتَّبعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلَى مُلْك سُلَيْمانَ ، وما كفرَ سُلَيْمانُ ولكنَّ الشَّياطِينَ كفَرُوا يُعلِّمونَ النَّاسَ السِّحْر ، وما أُنْزِلَ عَلَى الملَكَيْن ببَابِلَ هَارُوتَ ومارُوتَ ، وما يُعلِّمان مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يقُولَا إنَّمَا نحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تكْفُرْ ، فيتعَلَّمُون منْهما

ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ المرْءِ وزَوْجِهِ وما هُمْ بضارِّينَ بِهِ مِنْ أحَدٍ إلاَّ بإذْنِ اللهِ ، ويتعَلَّمُونَ ما يَضرُّهُم ولا ينْفَعُهم ، ولقَدْ علِمُوا . لمنِ اشْتَراهُ ما لَهُ فى الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ، ولبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أنْفُسَهُم لوْ كانُوا يَعْلمُون » . (الآية ١٠٢)

يخبر الله تعالى بأن من سيئات اليهود أنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وأعرضوا عنه ، واتبعوا كتاباً صنعه « آصف » كاتب النبى سليمان ، واتبعوا سحر هاروت وماروت ، وهما ملكان كانا يعلمان الناس السحر اختباراً وابتلاء ، ووصفوا سليمان بأنه ساحر وليس نبياً ، فكذبهم الله فى ذلك ، وأبان أن الشياطين هم الذين افتروا على سليمان وموهوا على الناس بالتلبيس والخداع فكانوا من الكافرين .

وكان هاروت وماروت يقولان للناس : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، وكانا يعلمان الناس السحر تعليم من يحذر منه ، لا تعليم من يدعو إليه ، ويقولان للناس : لا تفعلوا كذا ولا تحتالوا بكذا ، لتفرقوا بين المرء وزوجه .

ويرى الإمام محمد عبده أن قوله تعالى : « فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه » لا مانع أن يكون المراد منه تلك الطرق الخبيثة التى تصرف الزوج عن زوجته ، والزوجة عن زوجها ، ولا يبعد أن يكون مثل هذه الطرق مما يتعلمه الناس ، ويطلبون له الأساتذة ، ونحن نرى أن كتباً ألفت ، ودروساً تلقى لتعليم أساليب التفريق بين الناس ، لمن يريد أن يكون من عمال السياسة فى بعض الحكومات .

وقد يكون ذكر المرء وزوجه من قبيل التمثيل ، وإظهار الأمر فى أقبح صورة : أى بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الإفساد ، أن يتمكنوا به من التفريق بين المرء وزوجه ، وسياق الآية لا يأباه ، وذكر الشياطين لا يمنعنا من ذلك . بعد أن سمى الله خبثاء الإنس المنافقين بالشياطين .

قال : « وإذا خلوا إلى شياطينهم » . وقال : « شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض » .

وينفى القرآن الكريم أن يقع شيء فى هذا الكون إلا بإذن الله ، فيقول فى الآية السابقة : « وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله » .

ويرى الإمام الرازى عند تعليقه على عمل هاروت وماروت أن تعلم السحر أمر لا غبار عليه ؛ إذا لم يسبب ضرراً لأحد . وقد اتفق المحققون أن العلم بالسحر غير قبيح وغير محظور ، لأن العلم لذات العلم أمر شريف ، ولعموم قوله تعالى : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، ولأن السحر لو لم يكن معلوماً لما أمكن أن نفرق بينه وبين المعجزة ، والعلم بكون المعجزة معجزة أمر واجب ، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب ، وهذا يقتضى أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً ، وما يكون واجباً كيف يكون حراماً أو قبيحاً ؟ !

والموقف الثانى الذى عرضه القرآن عن السحر ، هو موقف سحرة فرعون مع موسى عليه السلام ، وقد تحدث القرآن عن هذا الموقف فى سورة الأعراف ويونس وطه والشعراء والقصص ، وغيرها ، ويحسبنا أن نذكر الآيات التى وردت فى سورة الأعراف عن هذا الموقف فهى تقول : « وجاء السَّحرةُ فِرْعَوْنَ قالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الغَالِبِينَ ، قالَ نَعَمْ وإِنَّكم لمِنَ المقرَّبِينَ ، قالُوا يا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ المُلْقِينَ ، قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ واسْتَرْهَبُوهُمْ وجاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ، وأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقفُ ما يَأْفِكُونَ،فَوَقَعَ الحَقُّ وبَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ » (الآيات من ١١٣ – ١١٨) .

وقوله : « استرهبوهم » أى حاولوا إرهاب الناس ، وإلقاء الخوف

فى قلوبهم ، بما فعلوه من تخييل ، وبما موهوا عليهم ، حتى خيل إلى الناس أن عصيهم وحبالهم تسعى ، وإنما الأمر فى الحقيقة تلبيس واحتيال .

ولعل من أدق ما يصور موقف القرآن الحكيم من السحر والسحرة ، ما جاء فى سورة طه على لسان موسى وهو ينصح السحرة : « قالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى » (الآية ٦١).وقول القرآن بعد ذلك : « إنما صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ، ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى » (الآية ٦٩). وقوله فى سورة يونس عن السحرة مع موسى : « فَلَمَّا أَلْقَوْا قالَ مُوسَى : ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُه . إِنَّ اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ المُفْسِدِينَ . ويُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ ، ولَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ » (الآيتان ٨١ ، ٨٢) .

obeikandl.com